سورة عبس

مكية، وآياتها ٤٢/ ٢/ ٢٥٣ب وقيل ٤١
[نزلت بعد النجم]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾

أتى رسول الله ﷺ ابن أمّ مكتوم[1] ـ وأمّ مكتوم أمّ أبيه، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي ـ وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام. والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة، يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم ـ فقال: يا رسول الله،

---

(١) ذكر الزمخشري سبب نزول الآية، وهو أن ابن أم مكتوم الأعمى... إلخ. قال أحمد: وإنما أخذ الإختصاص من تصدير الجملة بضمير المخاطب وجعله مبتدأ مخبرًا عنه وهو كثيرًا ما يتلقى الاختصاص من ذلك؛ ولقد غلط في تفسير الآية، وما كان له أن يبلغ ذلك.
ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه دون قوله: «صناديد قريش» ودون سياق نسب أم مكتوم. وكذا أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة. قال: ذكره لنا فذكره. وبهذا الإسناد أن النبي ﷺ استخلفه بعد ذلك على المدينة مرتين يصلي بأهلها. ورواه الترمذي والحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها نحوه.
(تنبيه) النسب الذي ساقه في غاية التخليط، يظهر لمن له أدنى إلمام بالأخبار والأنساب. قال ابن سعد: أما أهل المدينة فيقولون اسمه عبد الله. وأما أهل العراق وهشام الكلبي فيقولون اسمه عمرو ثم أجمعوا على نسبه. فقالوا: ابن قيس بن زياد بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص ابن عامر بن لؤي. وأمه عاتكة هي أم مكتوم بنت عبد الله بن عامر بن مخزوم. وقال ابن سعد: أخبرنا يزيد بن هارون. أخبرنا جويبر عن الضحاك. قال: «كان النبي ﷺ تصدّى لرجل من قريش يدعوه إلى الإسلام فأقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، فجعل يسأل رسول الله ﷺ وهو يعرض عنه ويعبس في وجهه، ويقبل على الآخر. فعاتب الله رسوله فقال: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ الآيات فدعاه رسول الله ﷺ فأكرمه واستخلفه على المدينة مرتين».

أقرئني وعلمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه، فنزلت فكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه: مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين (١٧٠٩)؛ وقال أنس: رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء (١٧١٠). وقرئ: عبس، بالتشديد للمبالغة؛ ونحوه: كلح في كلح ﴿أَن جَآءَهُ﴾ منصوب بتولى، أو بعبس، على اختلاف المذهبين. ومعناه: عبس، لأن جاءه الأعمى. أو أعرض لذلك. وقرئ: آن جاءه، بهمزتين وبألف بينهما، ووقف على ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ ثم ابتدىء، على معنى: ألأن جاءه الأعمى فعل ذلك إنكارًا عليه. وروي أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط، ولا تصدى لغني. وفي الإخبار عما فرط منه، ثم الإقبال عليه بالخطاب: دليل على زيادة الإنكار، كمن يشكو إلى الناس جانيًا جنى عليه، ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجهًا له بالتوبيخ وإلزام الحجة. وفي ذكر الأعمى نحو من ذلك، كأنه يقول: قد استحق عنده العبوس والإعراض لأنه أعمى، وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفًا وتقريبًا وترحيبًا، ولقد تأدّب الناس بأدب الله في هذا تأدبًا حسنًا؛ فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله أنّ الفقراء كانوا في مجلسه أمراء ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ وأي شيء يجعلك داريًا بحال هذا الأعمى؟ ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الإثم «﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ أو يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ ذكراك، أي: موعظتك؛ وتكون له لطفًا في بعض الطاعات. والمعنى: أنك لا تدري ما هو مترقب منه، من تزكّ أو تذكر، ولو دريت لما فرط ذلك منك. وقيل: الضمير في ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ للكافر. يعني أنك طمعت في أن يتزكى بالإسلام، أو يتذكر فتقرّبه الذكرى إلى قبول الحق؛ وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن. وقرئ: فتنفعه، بالرفع عطفًا على يذكر. وبالنصب جوابًا للعلّ، كقوله: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٧]، ﴿تَصَدَّىٰ﴾ تتعرض بالإقبال عليه، والمصاداة، المعارضة؛ وقرئ:

١٧٠٩ ـ ورد هذا من طرق متعددة.

فأخرجه الطبري (٣٦٣١٩) وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٥٦) من طريق محمد بن سعد، ثنا أبي ثنا عمي ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه الطبري (٣٦٣٢٢) من طريق يزيد بن هارون ثنا سعيد عن قتادة به.

وأخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٢) كتاب التفسير: باب ومن سورة عبس حديث (٣٣٣١) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

١٧١٠ ـ أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٤٨) عن معمر عن قتادة، عن أنس به.

ـ وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق عن مصر، عن قتادة: أخبرني أنس بهذا أو كذا رواه أبو يعلى والطبري من رواية قتادة عن أنس رضي الله عنه. انتهى.

تصدى، بالتشديد، بإدغام التاء في الصاد. وقرأ أبو جعفر: تصدى، بضم التاء، أي: تعرّض. ومعناه: يدعوك داع إلى التصدي له: من الحرص والتهالك على إسلامهُ، وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع في طلب الخير ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ الله أو يخشى الكفار، وأذاهم في إتيانك. وقيل: جاء وليس معه قائد، فهو يخشى الكبوة ﴿تَلَهَّىٰ﴾ تتشاغل، من لهى عنه. والتهى. وتلهى. وقرأ طلحة بن مصرف: «تتلهى»، وقرأ أبو جعفر: تلهى، أي: يلهيك شأن الصناديد، فإن قلت: قوله: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾، (فأنت عنه تلهى) كأن فيه اختصاصًا قلت: نعم، ومعناه: إنكار التصدي والتلهي عليه، أي: مثلك خصوصًا لا ينبغي له أن يتصدى للغنيّ ويتلهى عن الفقير.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن المعاتب عليه، وعن معاودة مثله ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي موعظة يجب الاتعاظ والعمل بموجبها ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ أي كان حافظًا له غير ناس، وذكر الضمير لأنّ التذكرة في معنى الذكر والوعظ ﴿فِى صُحُفٍ﴾ صفة لتذكرة، يعني: أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء. أو مرفوعة المقدار ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ منزهة عن أيدي الشياطين، لا يمسها إلا أيدي ملائكة مطهرين ﴿سَفَرَةٍ﴾[1] كتبة ينتسخون الكتب من اللوح ﴿بَرَرَةٍ﴾ أتقياء. وقيل: هي صحف الأنبياء كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨﴾ [الأعلى: ١٨] وقيل السفرة: القرّاء وقيل: أصحاب رسول الله ﷺ.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ دعاء عليه، وهي من أشنع دعواتهم[2] لأنّ القتل قصارى شدائد الدنيا

---

(١) قوله: «سفرة» في الصحاح: واحدهم سافر، ككافر وكفرة. (ع)

(٢) قال محمود: «دعاء عليه وهو من أشنع دعائهم... إلخ» قال أحمد: ما رأيت كاليوم قط عبدًا ينازع ربه، الله تعالى يقول: (ثم شققنا) فيضيف فعله إلى ذاته حقيقة، كما أضاف بقية أفعاله من عند قوله: (من نطفة خلقه) وهلم جرا. والزمخشري يجعل الإضافة مجازية من باب إسناد الفعل إلى سببه، فيجعل إضافة الفعل إلى الله تعالى من باب إضافة الشق إلى الحراث؛ لأنه السبب. قتل القدري ما أكفره على قول؛ وما أضله على آخر؛ وإذا جعل شق الأرض مضافًا إلى الحراث حقيقة، وإلى الله مجازًا، فما يمنعه أن يجعل الحراث هو الذي صبب الماء وأنبت الحب، والعشب والقضب: حقيقة؛ وهل هما إلا واحد.

وفظائعها. و﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ تعجب[1] من إفراطه في كفران نعمة الله، ولا ترى أسلوبًا أغلظ منه، ولا أخشن مسًا، ولا أدل على سخط، ولا أبعد شوطًا في المذمة، مع تقارب طرفيه، ولا أجمع للأئمة على قصر متنه ثم أخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه، إلى أن انتهى وما هو مغمور فيه من أصول/ ٢/ ٢٥٤أ النعم وفروعها. وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط[2] وقلة الالتفات إلى ما يتقلب فيه وإلى ما يجب عليه من القيام بالشكر ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨﴾ من أي شيء حقير[3] مهين خلقه، ثم بين ذلك الشيء بقوله: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩﴾ فهيأه لما يصلح له ويختص به. ونحوه ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢]، نصب السبيل بإضمار «يسر» وفسره بيسر والمعنى: ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمّه. أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر بإقداره وتمكينه، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: بين له سبيل الخير والشر ﴿فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له، ولم يجعله مطروحًا على وجه الأرض جزرًا للسباع والطير كسائر الحيوان. يقال: قبر الميت إذا دفنه. وأقبره الميت. إذا أمره أن يقبره ومكنه منه. ومنه قول من قال للحجاج: أقبرنا صالحًا ﴿أَنشَرَهُۥ﴾ أنشأه النشأة الأخرى. وقرئ: نشره، ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو عليه ﴿لَمَّا يَقۡضِ﴾ لم يقض بعد، مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم إلى هذه الغاية ﴿مَآ أَمَرَهُۥ﴾ الله حتى يخرج عن جميع أوامره، يعني: أنّ إنسانًا لم يخل من تقصير قط.

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢﴾

ولما عدد النعم في نفسه: أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه، فقال: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤﴾ إلى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ﴾ يعني الغيث. قرئ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على البدل من الطعام، وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما «أنى صببنا» بالإمالة على معنى: فلينظر الإنسان كيف صببنا الماء. وشققنا: من شق الأرض بالنبات ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على[4] البقر؛ وأسند الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب. والحب: كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما.

---

(١) قوله: «تعجب من إفراطه» لعله: تعجيب. (ع)

(٢) قوله: «من الكفران والغمط» بطر النعمة وتحقيرها. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «من أي شيء خلقه من أي شيء حقير» لعله: أي من شيء... إلخ». (ع)

(٤) قوله: «من شقها بالكراب» في الصحاح: كربت الأرض، إذا قلبتها للحرث. (ع)

والقضب: الرطبة[1] والمقضاب: أرضه، سمي بمصدر قضبه إذا قطعه؛ لأنه يقضب مرّة بعد مرّة ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء، فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها، كما تقول: حديقة ضخمة، وأن يجعل شجرها غلبًا، أي: عظامًا غلاظًا. والأصل في الوصف بالغلب: الرقاب؛ فاستعير. قال عمرو بن معد يكرب [من الكامل]:

يَمْشِي بِهَا غُلْبُ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ ... بُزْلٌ كُسِينَ مِنَ الْكُحَيْلِ جِلَالَا[2]

والأب: المرعى، لأنه يؤبّ أي يؤم وينتجع. والأبّ والأمّ أخوان قال [من الرمل]:

جِذْمُنَا قَيْسٌ وَنَجْدٌ دَارُنَا ... وَلَنَا الأَبُّ بِهِ وَالْمَكْرَعُ[3]

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الأبّ فقال: أيّ سماء تظلني، وأيّ أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به (١٧١١). وعن عمر رضي الله عنه: أنه قرأ هذه الآية فقال: كل هذا قد عرفنا، فما الأب؟ ثم رفض عصًا كانت بيده وقال:

١٧١١ ـ رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/١٣٦) رقم (٣٠١٠٧) وعزاه الزيلعي (٤/١٥٨) لعبد بن حميد في تفسيره ومن طريقه الثعلبي في تفسيره.
ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٨٣٣) رقم (١٥٦١).
وذكره السيوطي في الدر (٦/٥٢٢) وعزاه لأبي عبيد في فضائل القرآن له.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن. حدثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر رضي الله عنه سئل عنه فذكره ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد من هذا الوجه. وهذا منقطع. ورواه يحيى الحماني وابن عبد البر في العلم من طريقه من رواية إبراهيم النخعي عن أبي معمر عن أبي بكر فذكره. انتهى.

---

(١) قوله: «والقضب الرطبة» في الصحاح «القضبة، والقضب» الرطبة. وفيه أيضًا «الرطبة» بالفتح: القضب اهـ وفيه دور. وقال بعض الفضلاء «القضب»: هو المسمى في مصر بالبرسيم الحجازي. (ع)

(٢) لعمرو بن معد يكرب. ويقال: أسد أغلب، أي: غليظ العنق، والغلب: جمعه، ثم استعير لكل غليظ والبزل: جمع بازل للمذكر والمؤنث من الإبل إذا انفطر نابه، وذلك في السنة التاسعة: والكحيل: القطران. والجلال: جمع جل: يصف مفازة تمشي فيها أسود غلاظ الأعناق، كأنها فتيات من الإبل دهنت بالقطران حتى صار عليها كالجلال، فكسين: استعارة مصرحة، والجلال: ترشيح. ويروى: كأنهم، باستعارة ضمير العقلاء لغيرهم.
ينظر: القرطبي ١٩/١٤٤، الدر المصون ٦/٤٨١.

(٣) الجذم ـ بالكسر وقد يفتح: الأصل الذي يقتطع منه غيره. والأب والأم ـ بالفتح والتشديد ـ بمعنى المرعى، لأنه يؤب ويؤم، أي: يقصد. والمكرع: المنهل. يقول: نحن من قبيلة قيس ونجد هي ديارنا، ولنا به أي في نجد المرعى والمروى. وفيه تمدح بالشرف والشجاعة على غيره.
ينظر: لسان المرب (أبب)، وجمهرة اللغة ص ٥٣، ومقاييس اللغة ١/٦، وتهذيب اللغة ١٥/ ٥٩٩، وتاج العروس (أبب).

هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا ابن أمّ عمر أن لا تدري ما الأب، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا فدعوه (١٧١٢) فإن قلت: فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته. قلت: لم يذهب إلى ذلك، ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفًا عندهم؛ فأراد أنّ الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره، وقد علم من فحوى الآية أنّ الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعًا له أو لإنعامه، فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله ـ على ما تبين لك ولم يشكل ـ مما عدّد من نعمه، ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له، واكتف بالمعرفة الجميلة إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت، ثم وصى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

يقال: صخّ لحديثه، مثل: أصاخ له، فوصفت النفخة بالصاخة مجازًا؛ لأن الناس يصخون لها ﴿يَفِرُّ﴾ منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه، ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئًا؛ وبدأ بالأخ، ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب؛ كأنه قال: يفرّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه. وقيل: يفرّ منهم حذرًا من مطالبتهم بالتبعات. يقول الأخ: لم تواسني بمالك. والأبوان: قصرت في برنا. والصاحبة: أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت. والبنون: لم تعلمنا ولم ترشدنا، وقيل: أوّل

١٧١٢ ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٤) الحديث (٢٢٨١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٤) بنفس الإسناد وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي ورواه ابن جرير الطبري (١٢/ ٤٥١) بألفاظ وأسانيد مختلفة رقم (٣٦٣٦٧ ـ ٣٦٣٧١) وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والخطيب.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الطبري والطبراني في مسند الشاميين من طريق ابن وهب عن يونس وعمرو بن الحارث. ورواه الحاكم والبيهقي في الشعب في التاسع عشر من طريق صالح بن كيسان: وابن مردويه من رواية شعيب كلهم عن الزهري. «أن إنسانًا أخبره أنه سمع عمر فذكره». وله طريق أخرى من رواية حميد عن أنس أخرجها الحاكم. وروى الحاكم أيضًا من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الآية فقال: هو نبت الأرض مما تأكله الدواب والأنعام. ولا يأكله الناس. انتهى.

من يفرّ من أخيه/ ٢/ ٢٥٤ب: هابيل؛ ومن أبويه: إبراهيم ومن صاحبته: نوح ولوط؛ ومن ابنه نوح ﴿يُغْنِيهِ﴾ يكفيه في الاهتمام به. وقرئ «يعنيه» أي يهمه ﴿مُسْفِرَةٌ﴾ مضيئة متهللة، من أسفر الصبح: إذا أضاء وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما: من قيام الليل؛ لما روي في الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» (١٧١٣) وعن الضحاك: من آثار الوضوء. وقيل: من طول ما اغبرت في سبيل الله ﴿غَبَرَةٌ﴾ غبار يعلوها ﴿قَتَرَةٌ﴾ سواد كالدخان؛ ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، كما ترى من وجوه الزنوج إذا اغبرت؛ وكأن الله عز وجل يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة، كما جمعوا الفجور إلى الكفر.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر» (١٧١٤).

١٧١٣ ـ قال الحافظ: تقدم في سورة الفتح. انتهى.

١٧١٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦). قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

obeikandl.com